

●●● ومن ذلك الأحاديث ما جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما اشتكى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَتْ بَعْضَ نِسَائِهِ كَنِيْسَةً رَأَيْتَهَا بِأَرْضِ الْحَبْشَةِ يُقَالُ لَهَا مَارِيَةُ وَكَانَتْ أُمُّ سَلْمَةَ وَأُمُّ حَبِيْبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَتَتْهَا أَرْضَ الْحَبْشَةِ فَذَكَرْنَا مِنْ حُسْنِهَا وَتَصَاوِيرِ فِيهَا فَرَفَعَ رَأْسَهُ ، فَقَالَ : " أَوْلَيْتُكَ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنُوْنَا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا ، ثُمَّ صَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوْرَةَ ، أَوْلَيْتُكَ شَرَارًا خَلَقَ عِنْدَ اللهِ "

وعن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم ، قالوا لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طِفْقٌ يَطْرَحُ حَمِيْصَةً عَلَى وَجْهِهِ فَإِذَا اغْتَمَّ كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ ، فَقَالَ - وَهُوَ كَذَلِكَ : " لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ " يُحَدِّثُ مَا صَنَعُوا . متفق عليه وعن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال : سمعت النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ - وَهُوَ يَقُولُ .... " أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ أَلَا قَالًا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ إِنِّي أَنهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ " رواه مسلم وعن جابر رضي الله عنه قال : " نَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُجِصَّ الْقَبْرُ ، وَأَنْ يُقَعَدَ عَلَيْهِ ، وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ " رواه مسلم .

وقد دلَّت هذه النُّصوص بمنطوقها ومضمونها على أمور :

منها : تحريم بناء المساجد على القبور ، ولذلك لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِيْنَةَ أَمَرَ بِبِنَاءِ الْمَسْجِدِ فِي حَائِطِ بَنِي النَّجَّارِ وَكَانَ فِيهِ قُبُورٌ لِلْمَشْرِكِينَ ، وَفِيهِ خَرْبٌ ، وَفِيهِ نَخْلٌ ، فَأَمَرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْقُبُورِ فَنُبِشَتْ وَالْحَدِيثُ فِي الصَّحِيحِينَ .

ومنها : تحريم الصَّلَاةِ فِي الْقُبُورِ ، وَإِنْ لَمْ يُبْنَ عَلَيْهِا مَسْجِدٌ ، قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ : " فَإِنَّ ذَلِكَ أَيْضًا اتَّخَاذُهَا مَسْجِدًا ، كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ : " وَلَوْلَا ذَلِكَ لِأَبْرَزِ قَبْرِهِ وَلَكِنْ خَشِيَ أَنْ يَتَّخِذَ مَسْجِدًا . ، وَلَمْ تَقْصِدْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مَجْرَدَ بِنَاءِ مَسْجِدٍ ، فَإِنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يَكُونُوا لِيَبْنُوا حَوْلَ قَبْرِهِ مَسْجِدًا ، وَإِنَّمَا قَصِدَتْ أَنْهُمْ خَشَوْا أَنَّ النَّاسَ يَصِلُونَ عِنْدَ قَبْرِهِ ، وَكُلُّ مَوْضِعٍ قَصِدَتْ الصَّلَاةُ فِيهِ فَقَدْ اتَّخِذَ مَسْجِدًا ... كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا .

والأدلة على تحريم الصَّلَاةِ فِي الْقُبُورِ وَالْيَهُودِ كَثِيرَةٌ ، كَقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " صَلُّوا فِي بُيُوتِكُمْ وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا " متفق عليه ، لِأَنَّ الْقُبُورَ لَيْسَتْ مَحَلًّا لِلصَّلَاةِ . وَقَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَا تَصَلُّوا إِلَى الْقُبُورِ وَلَا تَجْلِسُوا عَلَيْهَا " رواه مسلم .

ومنها : النَّهْيُ عَنِ دَفْنِ الْمَوْتَى فِي الْمَسَاجِدِ .

وهذه فتنة أخرى ابتلى بها بعض النَّاسِ حَيْثُ يَدْفِنُونَ مِنْ يَعْظُمُونَهُ فِي الْمَسْجِدِ ، بَلْ إِنَّ بَعْضَهُمْ يَبْنِي مَسْجِدًا وَيُوصِي بِأَنْ يَدْفَنَ فِيهِ إِذَا مَاتَ ، وَهَذَا كُلُّهُ مِنَ الْبِدْعِ الْمَحْدُوثَةِ الَّتِي تَتَوَلَّى مَعَ مَرُورِ الزَّمَنِ إِلَى الشَّرْكِ بِاللَّهِ تَعَالَى .

وللفائدة أنقل لك - أخي القاري - نص فتوى للعلامة عبدا العزيز بن باز رحمه الله يستنكر فيها ما نشرته بعض الصحف السودانية بخصوص دفن المدعو السيد محمد الحسن الإدريسي بجوار أبيه في مسجدهم .

فقال رحمه الله : " ولَمَّا أَوْجِبَ اللهُ مِنَ النَّصْحِ لِلْمُسْلِمِينَ ، وَبَيَانَ إِتْكَارِ الْمُنْكَرِ ، رَأَيْتُ التَّنْبِيْهَ أَنَّ الدَّفْنَ فِي الْمَسَاجِدِ أَمْرٌ لَا يَجُوزُ ، بَلْ هُوَ مِنْ وَسَائِلِ الشَّرْكِ ، وَمِنْ أَعْمَالِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى الَّتِي ذَمَّهُمُ اللهُ عَلَيْهَا ، وَلَعَنَهُمُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثُمَّ سَاقَ حَدِيثَ عَائِشَةَ وَجَنْدَبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا السَّابِقِينَ - قَالَ : وَالْأَحَادِيثُ فِي هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ . فَالْوَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ - حُكُومَاتٍ وَشُعُوبًا - أَنْ يَتَّقُوا اللهُ ، وَأَنْ يَحْذَرُوا مَا نَهَى عَنْهُ ، وَأَنْ يَدْفِنُوا مَوْتَاهُمْ خَارِجَ الْمَسَاجِدِ ، كَمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْفِنُونَ الْمَوْتَى خَارِجَ الْمَسَاجِدِ ، وَهَكَذَا اتَّبَعَهُمْ بِإِحْسَانٍ .

وأما وجود قبر النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَاحِبِيهِ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِي مَسْجِدِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَيْسَ بِهِ حِجَّةٌ عَلَى دَفْنِ الْمَوْتَى فِي الْمَسَاجِدِ ، لِأَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَفِنَ فِي بَيْتِهِ - فِي بَيْتِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - ثُمَّ دَفِنَ صَاحِبَاهُ مَعَهُ ، فَلَمَّا وَسَّعَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْمَسْجِدَ أَدْخَلَ الْحِجْرَةَ فِيهِ عَلَى رَأْسِ الْمِائَةِ الْأُولَى مِنَ الْهَجْرَةِ . وَقَدْ أَنْكَرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ أَهْلُ الْعِلْمِ ، وَلَكِنَّهُ رَأَى أَنَّ ذَلِكَ لَا يَمْنَعُ مِنَ التَّوَسُّعَةِ ، وَأَنَّ الْأَمْرَ وَاضِحٌ لَا يَشْتَبَهُ .

وبذلك يتضح لكل مسلم وصاحبيه رضي الله عنهما لم يدفنوا في المسجد ، وادخالهم فيه بسبب التوسعة ليس بحجة على جواز الدفن في المساجد لأنهم ليسوا في المسجد وإنما هم في بيته - عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - ، ولأنَّ عمل

الوليد لا يصلح حجة لأحد في ذلك ، وإنما الحجَّة في الكتاب والسنة وفي إجماع سلف الأمة رضي الله عنهم ، وجعلنا من أتباعهم بإحسان .

ومن الأمور المنهي عنها في هذه الأحاديث :

تشبيد القبور وبنائها بالجص ونحوه ورفعها عن الأرض .

ففي صحيح مسلم عن أبي الهيثج الأسدي قال : قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أَلَا أْبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعْثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَنْ لَا تَدَعَ تَمَثُّلًا إِلَّا طَمَسْتَهُ وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ " .

وفيه عن ثمامة بن شفي قال : كُنَّا مَعَ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِأَرْضِ الرُّومِ بِرُودَسٍ فَتَوَفَّيْ صَاحِبًا لَنَا فَامَرَ فَضَالَةَ ابْنَ عُبَيْدٍ بِقَبْرِ فُسُوِيٍّ ثُمَّ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوْصِي أَنْ لَا يُجْعَلَ عَلَى قَبْرِهِ بِنَاءٌ وَكَانَتْ مَقَابِرُ الْمُسْلِمِينَ فِي زَمَنِ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ فِي عَاقِبِيَّةٍ مِنَ الْأَبْنِيَّةِ وَالتَّجْصِيصِ وَالتَّقَابِ امْتِنَالًا لِلْوَصَايَا النَّبَوِيَّةِ ، فَجَرَدُوا التَّوْحِيدَ وَحَمَوُا جَانِبَهُ ، وَلَمْ يَفْعَلُوا عِنْدَ الْقُبُورِ إِلَّا مَا أَدْنَى فِيهِ الشَّرْعُ مِنَ السَّلَامِ عَلَى أَهْلِهَا وَالِاسْتِغْفَارِ لَهُمْ وَالتَّرْحَمِ عَلَيْهِمْ .

حتى إذا انقضت القرون الخيرية ودب في الأمة الضعف والفرقة ، أحدث الرافضة البناء على القبور قال ابن تيمية رحمه الله : " أمروا ببناء المشاهد وتعطيل المساجد محتججين بأنه لا تصلى الجمعة والجماعة إلا خلف المعصوم ، ورووا في إنارة المشاهد وتعظيمها والدعاء عندها من الأكاذيب ما لم أجد مثله فيما وقفت عليه من أكاذيب أهل الكتاب ، حتى صنَّفَ كبيرهم ابن النُّعْمَانِ كِتَابًا فِي " مَنَاسِكِ حَجِّ الْمَشَاهِدِ " وَكَذَبُوا فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَهْلِ بَيْتِهِ أَكْذَابًا بَدَلُوا بِهَا دِينَهُ وَغَيَّرُوا مِلَّتَهُ ، وَابْتَدَعُوا الشَّرْكَ الْمَنَافِي لِلتَّوْحِيدِ فَصَارُوا جَامِعِينَ بَيْنَ الشَّرْكِ وَالْكَذِبِ .

ثمَّ جَاءَ الصُّوْفِيَّةُ ، فَتَرَسَّمُوا خَطَاهُمْ وَنَسَجُوا عَلَى مَنْوَالِهِمْ حَتَّى ارْتَبَطَ اسْمُ كُلِّ صَاحِبِ طَرِيقَةٍ مِنْهُمْ بِضَرِيحٍ أَوْ كَثْرٍ ، وَصَارَتْ كُلُّ بَلَدَةٍ أَوْ قَرْيَةٍ تَتَفَخَّرُ بِكَثْرَةِ مَا فِيهَا مِنَ الضَّرَائِحِ وَالتَّقَابِ وَالْمَقَامَاتِ !

وعند زيارتهم لها وشدَّ الرِّحَالِ إِلَيْهَا لَا تَسْأَلُ عَمَّا يُمَارَسُ فِيهَا مِنْ شَرِكِيَّاتٍ وَمَخَالَفَاتٍ كَالْتَّمَسُحِ بِحَيْطَانِهَا ، وَتَعْفِيرِ الْخُدُودِ عَلَى أَعْتَابِهَا ، وَتَقْدِيمِ الْقَرَابِينَ لَهَا وَالتَّذْوَرِ ، وَتَعْلِيْقِ الْخِرْقِ عَلَيْهَا وَالتَّسْتُورِ ، وَإِقْيَادِ الْمَصَابِيحِ

## تحذير العابد من اتخاذ القبور مزارات ومشاهد

نشرت في العدد التاسع والعشرون مجلة الإصلاح

فضيلة الشيخ  
كمال قلمي حفظه الله



ما زالت دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول بعثته إلى آخر حياته قائمة على الإنذار والتحذير من الشرك بجميع صورته وبكل أنواعه جلية وخفية ، كبيرة وصغيرة . ولما كانت الفتنة بالقبور هي سبب أول شرك ظهر على وجه الأرض (انظر إغاثة اللهفان (1/346) وما بعدها) ، تواترت الأحاديث بالتغليظ والنهي عن بناء القبور وتجسيصها ، وعن الصلاة عليها وإيقاد القناديل اتخذها مساجد وأعيادا ، وإيقاد القناديل والسرج عليها وغير ذلك . كل ذلك حماية لجناح التوحيد الخالص ، وحسما لمادة الشرك واجتثاثا لجزوره واقتلاعا لأصوله ، وسدا لكل باب وطريق يفضي إليه

ناصر الدين الألباني رحمه الله ، وكتاب " الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرّد على أهل الشرك والإلحاد " للعلامة الشيخ صالح الفوزان حفظه الله تعالى ، وغيرها .

وأختم بكلمة بليغة من عالم مكين وناصح أمين ، لعلها تجد قلوبا واعية وأذانا صاغية . يقول الإمام الشوكاني رحمه الله (ت 1250 هـ) ، وقلبه يعتصر ألما وحسرة على ما آل إليه حال المسلمين في زمانه : " وكم سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاصد يبكي لها الإسلام ، منها اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام ، وعظم ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر ، فجعلوها مقصدا لطلب قضاء الحوائج وملجأ لنجاح المطالب ، وسألوا منها ما يسألها العباد من ربهم ، وشدوا إليها الرحال ، وتمسحوا بها واستغاثوا . وبالجمل ، إنهم يدعوا شيئا مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه ، فإننا لله وإننا لله راجعون .

ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لا تجد من يغضب لله ويغار حمية للدين الحنيف ، لا عالما ولا متعلما ، ولا أميرا ولا وزيرا ولا ملكا .

وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا يشك معه أن كثيرا من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم إذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجرا !! فإذا قيل له بعد ذلك : احلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني ، تلعنم وتلكأ وأبى واعترف بالحق !! وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال : إنّه تعالى ثاني اثنين ، أو ثالث ثلاثة .

فيا علماء الدين ! ويا ملوك المسلمين ! أي رزء للإسلام أشد من الكفر ! وأي بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله !! وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة !! وأي منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك البيّن واجبا !!

لقد سمعت لونا ديت حيا /// ولكن لا حياة لمن تنادي

ولونارا نفخت بها أضاءت /// ولكن أنت تنفخ في رماد

وهذا الذي نعاه الإمام الشوكاني على أهل زمانه هو بعض ضلالهم وشركهم ولم يستقص جميع أخبارهم ، وما ذلك الزمان عنا بعيد ، وما أشبه الليلة بالبارحة ! والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله المتعال . تمت بحمد الله

والشموخ والعكوف عليها في غاية الدلّ والخشوع ، وسؤال أصحابها بأنواع التوسلات والتضرعات ، بإغاثة اللهفات وتفريج الكربات ، وغير ذلك من الحاجات والقربات ، التي لا تسأل إلا من رب الأرض والسّموات ولا تصرف إلا له سبحانه وتعالى . كل ذلك ، وغيره كثير — يحصل ويمارس على مرأى ومسمع من بعض الجهات المعنية ، بل إنّها تسعى حثيثا في إحياء تلك الرّوايا والمزارات ، ودعمها بالأموال والمؤتمرات ، بحجة أنّها روح الأمة وتاريخها التليد ، بل عودة بها إلى الشرك والتّناديد ، الذي حاربه دعاة الإصلاح والتّوحيد .

وأما دعاة الحزبيّات ، الذين ملأوا الدنيا بالضجيج والصيحات على تطبيق شريعة رب البريات ، فمنهم من هاجسه التّصويت والانتخابات ، ومنهم من اشربت عنقه إلى مقاعد البرلمان والوزارات ، ومنهم من ديدنه التّهيج والثورات ، ومنهم يزين للشباب التّضحيات والانتعارات ، والكل يتباكى على حقوق الشعب والمواطنين ، ولو كانوا غارقين في الخرافة والقبورية ، فإين هم من تطبيق شرع رب العالمين إذا ضاع التّوحيد الذي هو أعظم حق الله على العبيد إن كانوا صادقين !!

ولولا أن الله عزوجل أقام لدينه في كل حين وزمان من يذب عنه من أولى العلم والعرفان لانطمست معالم التّوحيد والإيمان ، ولا استفحل الشرك في كل مكان ، ولرجع الناس إلى الجاهلية الأولى وعبادة الأوثان ، كما جرى على ما قبله من الأديان ، وإننا لله وإننا إليه راجعون ، والله وحده المستعان .

فقام علماء السنّة بما أوجب الله عليهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبيان ذلك من خلال مؤلفات مفيدة مدعومة بالحجة والبرهان ، مثل كتاب " اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم " لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، وكتاب " إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان " للعلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله وكتاب " تجريد التوحيد المفيد " للعلامة المقرئزي ، وكتاب " الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد " للعلامة محمد بن علي الشوكاني رحمه الله ، وكتاب " تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد " للعلامة الأمير الصنعاني رحمه الله ، وكتاب " الشرك ومظاهره " للعلامة المبارك الميلي رحمه الله ، وكتاب " تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد " للعلامة الشيخ محمد